# استراتيجياتُ إدارةِ الأَزْمَةِ في الخطابِ السِّياسي
# رسالةُ عمرو بنِ مَسْعَدَة (ت٢١٧هـ تقريبًا) إلى الخليفة المأمون
# (ت٢١٨هـ) في تأخُّر رواتب الجند، نموذجًا

**د. هاني علي سعيد مُحمَّد ***
has00@fayoum.edu.eg

**ملخص**

يعدُّ هذا البحثُ مقاربةً لمجموعةٍ من الاستراتيجيات، التي أنجز من خلالها عمرو بن مسعدة – أحد كتّاب العصر العباسي– أغراضَه في الرسالة التي بعث بها إلى الخليفة المأمون، تلك الرسالة التي عالج من خلالها أزمةَ تأخر رواتب الجند في خراسان، وقد نجحت بما توافر لها من خصائص في فض التنازع فيما بين الجند والخلافة العباسية آنئذ.

ومن خلال منهج التحليل النقدي للخطاب بالإضافة إلى مجموعة من الإجراءات المكملة، حاول البحث أن يتتبع هذه الاستراتيجيات في خطاب سياسي ارتبط بالسلطة العباسية، فبدأنا بتناول سياقاته المباشرة والمستترة، في محاولة لاستكشاف علاقة الرسالة بالواقع المتشابك من حولها، ولكي نحدِّدَ الأطراف المشاركة في الحدث الخطابي، ثم حللنا استراتيجيات إدارة الأزمة في الخطاب، وقد توزَّعتْ فيما بين استراتيجية إعادةِ بناء سياقٍ بديل، وتوظيف إمكانات اللغة ومستوياتها، واستراتيجيات أخرى حجاجية إقناعية، وتداولية إنجازية، كما ضمت أيضا المسكوت عنه، والتلاعب المشروع، والاستمالات.

## Abstract

The aim of this paper is to investigate a set of the strategies by which Amr Ibn Masada, one of the Abbasid era writers, achieved his purposes in the message that he sent to the Caliph al-Mamun. Amr Ibn Masada handled the crisis of soldiers' salaries delay in Khorasan through this message. Because of its ample features, the message

* أستاذ مُسَاعد البلاغة والنقد بقسم اللغة العربيّة ـ كليّة الآداب ـ جامعة الفيوم

managed to settle the dispute between the soldiers and the Abbasid Caliphate then.

This paper tries to tackle these strategies in a political discourse associated with the Abbasid authority by applying Critical Discourse Analysis (CDA) in addition to a number of supplementary procedures. Hence, the researcher has begun with discussing the explicit and implicit contexts in an attempt to discover the relationship between the message and the intricate reality around it, and to identify the participating parties in the rhetorical action. Then, the researcher has analyzed the strategies of crisis management in the discourse. These strategies include recontextualization, making use of the capabilities and levels of the language, and other persuasive argumentative and performative pragmatic strategies. They also include the untold, legitimate manipulation, and appeals.

## مُقدَّمة

**الحمد** لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ، وبجوده ومَنِّه تحصل البركات، وأصلّي وأسلّم على النبي الخاتم محمّدٍ (صلّى الله عليه وسلّم) أتمَّ وأفضل الصلوات، وبعدُ،

فإنّ منهج تحليل الخطاب يبتني فهمًا كليًّا لا يقف عند حدود الجملة وحدها، بل يتخطّاها إلى أنساقٍ من سياقات تفاعليّة شاملة، تتداخل فيها عدة علوم ومعارف، تتنوع لتشمل جوانب: ثقافية، ومعرفية، واجتماعيّة، ونفسية، ولغوية...، وذلك من أجل الوصول إلى وظائف هذا الخطاب وآثاره، وفَهم تشكلاته الفاعلة في الواقع بوصفه ممارسة اجتماعية تؤثر في هذا الواقع من جهة، وتتأثر به من جهة أخرى.

ولمَّا كان كلُّ خطاب إنما هو مشروعٌ كلاميّ يوظِّف له صاحبُه استراتيجيات من شأنها أن تكتب لهذا المشروع النجاح، وقع الاختيار على خطاب من الخطابات التي اتصلت بالسلطة في تفاعلاتها، وهو خطاب لأحد أبرز الكُتّاب في العصر العباسي في خلافة المأمون العامَّة(١٧٠هـ –

٢١٨هـ) وهو الكاتب عمرو بن مَسْعَدة (ت ٢١٧هـ تقريبًا)، وذلك من خلال رسالةٍ أرسل بها إلى المأمون يستشفعه في أن يُجريَ على جُنْدِ خراسان رواتبَهم التي تأخرت، وإنْ كان الاستشفاع والاستعطاف غرضا رئيسا واضحا للرسالة، فإني آثرتُ أنْ يكون البحث في استراتيجيات إدارة الأزمة فيها؛ نظرًا لموضوعها ولحالة التوتر التي شابَتْ ملابسَات كتابتها، بالإضافة إلى التراكم السياقي المتأزم الذي يكشفه لنا تاريخُ هذه المُدّة من عُمْرِ الدولة العباسية، ومِنْ هنا فَقَدْ آثرتُ أن يكون العنوان: " استراتيجيات إدارة الأزمة في الخطاب السياسي؛ رسالة عمرو بن مسعدة للمأمون في تأخر رواتب الجند نموذجًا ".

وإذا كانت مفردة (الاستراتيجيات) تقترن دوما بالتجهيزات الحربية والعسكرية، فإن استخدامها مع الخطاب السياسي يعكس مدى أهمية التجهيز للخطاب، وعدِّه معركة كلامية يحتاج فيها المتكلم إلى ما تحتاجه الحرب الضَّرُوْس، مِن إعداد وعُدَّة، وآلياتٍ بيّناتٍ يصيب من خلال توظيفِها الهدفَ المَرُوْم، وهذا هو السبب وراء اختيار التعبير بكلمة (استراتيجيات) في عنوان البحث، محاولين تتبع استراتيجيات ابن مَسْعَدَة في حل أزمة لو لم تُحل بالاستراتيجيات الكلامية، لكان للاستراتيجيات الحربية معها شأن آخر؛ خاصة أنّ الأطراف المتشاركة في هذا الحدث الخطابي لها جاهزية للتحارب؛ نظرا لطبيعتها الخاصة وتشكلها من (القادة والجند في خراسان) من جانب، والسلطة السياسية مُمَثَّلَة في الخليفة المأمون من جانب آخر.

وتقف عدة أسباب وراء اختيار الخطاب السياسي القديم عامة، واختيار رسالة ابن مسعدة مادة تطبيقية لهذا البحث خاصة، من هذه الأسباب ما يمكن ربطه بالعصر العباسي، وما وصل إليه من نضج كبير في خطابات الاتصال السياسي ومكاتباته، التي كتبها الكُتّاب في تواصلهم مع الخلفاء في المواقف المختلفة أو ما عرف باسم الرسائل الديوانية، وقد تميزت هذه الخطابات بالدقة المتناهية في استيفاء الغرض منها، بالإضافة إلى الدقة

اللغوية، وهو ما يمكن إرجاعه لمنظومة البناء الثقافي التي أشرف عليها الخلفاء العباسيون، من خلال عنايتهم بديوان الإنشاء، وتزويده بالكُتَّاب المهرة، وهي سياسة ارتأتها السلطة العباسية وسيلة مهمة من وسائل الهيمنة، ونجحت في سد العديد من الثغرات ضد خصومها من خلال طائفة من الكُتَّاب البارعين، الذين كانوا بمثابة سفراء استعانت بهم في إدارة سياساتها عبر أبعادها المترامية شرقا وغربا. ومن الأسباب، أيضا، الظرف الخاص الذي كُتِبت فيه رسالة ابن مسعدة، حتى صارت رسالته نموذجا عاليا من نماذج البلاغة، لا نمر بكتاب من كتب الأخبار والأدب إلا وجدناها شاهدا من شواهد حُسن البلاغ والإيجاز ومراعاة المقام، وهذا الأمر الأخير له تعلق بسبب من أسباب اختيارنا لها بوصفها خطابا سياسيا ناجحا، نبتغي من وراء تحليله توجيه صانعي الخطابات السياسية المعاصرة إلى مثل هذه النماذج؛ ليفيدوا منها في بناء خطاب سياسي غير مهترئ، وذلك لقناعة البحث التامة بأن صلاح اللغة السياسية أهم خطوة من خطوات الإصلاح السياسي.

وقد هدفنا من خلال هذا البحث إلى معرفة قدرة الخطاب على التأثير في الواقع وتغييره، والاستراتيجيات المستخدمة في هذا التغيير، واستقصاء العلاقة فيما بين الخطاب والسلطة، وكذلك الرغبة في الكشف عن سمات الأزمة السياسية، وكيفية إدارتها. ولتحقيق ذلك كله فقد تلمّس البحث طريقًا يبدأ بالتمهيد الذي نعرض فيه لِمِهادَيْنِ، أحدهما يقدِّم سيرة مختصرة لعمرو بن مسعدة، والآخر يحاول تقديم تصور حول تحليل الخطاب السياسي، وسمات الأزمة السياسية، ثم تأتي بعد ذلك دراستنا لمجموعة الاستراتيجيات التي تحققت لهذه الرسالة، من خلال مطلبين يتناول الأول منهما: السياقات المحيطة بالرسالة، وعَوَّلْنَا فيها على الإفادة من السياقات التاريخية، ثم جاء المطلب الثاني ليتناول الاستراتيجيات التي توافرت لرسالة ابن مسعدة، منها: استراتيجية إعادة بناء السياق، واستراتيجيات اللغة، واستراتيجيات الإقناع،

وأخيرا الاستراتيجية التداولية وتحويل الأقوال إلى أفعال. ثم تأتي الخاتمة التي تشتمل على أهم ما توصلنا إليه، وثبَت المصادر والمراجع التي آزرَتْ مَسْعى هذه الدراسة.

وفيما يخص المنهج فإن البحث اعتمد على التحليل النقدي للخطاب بوصفه منهجا يُعنى بدراسة العلاقة فيما بين الخطاب والسلطة، كما يتتبع الأساليب التي تسعى من خلالها السلطة إلى فرض سيطرتها، والتغيير في الواقع من حولها. ولمَّا كانت طبيعة البحث تقع داخل إطار رصد الاستراتيجيات التي نجح بها ابن مسعدة في تخطي أزمة فرضتها سياقات الرسالة، أُضيفت عدة مقاربات وإجراءات من شأنها أن تساعد في تحليل الخطاب، من مثل: التداولية وأفعال الكلام، والحِجَاج وأساليب الإقناع، بالإضافة إلى تناوله بعض الإجراءات الأخرى، التي درسنا فيها التلاعب، واستجابات المتلقي، والمسكوت عنه.

ونشير – ختاما – إلى أن البحث يتبنى مفهوم الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية تظهر في شكل لغوي مكتوب أو منطوق (شفاهي)، له علاقة متبادلة مع الواقع من حوله فيؤثر فيه ويتأثر به، ووَفق هذا المفهوم تدخل رسالة ابن مسعدة في إطار الخطابات المكتوبة، أما كونه خطابا سياسيا فهذه صفة اكتسبَتْها الرسالةُ من طبيعة الموضوع الذي كُتِبَت فيه والأطراف المتشاركة في الحدث أو سياق الرسالة؛ إذ إنها في شأن يخص أمور السلطة وسياساتها، كتبها أحد عُمّال الخلافة في خراسان للخليفة في بغداد؛ لتصير وَفق هذا السياق من مكاتبات الاتصال السياسي بين مؤسسات الخلافة/ السلطة.

## التمهيد

### مهاد أول: سيرة مختصرة لعمرو بن مَسْعَدة.

لم يحفظ لنا التاريخ يوم ولادة عمرو بن مسعدة، ولا شيئا ذا بال عن نشأته، شأنه في ذلك شأن مَنْ يكون مغمورًا ثم يذاع صِيتُه في أخريات حياته، لكنّ التاريخ ينبئنا عن امتداد نسَبه إلى أسرة عريقة وهي أسرة (صُول) التركية؛ إذ كان جدُّه (صُول) أحدَ ملوك جرجان(١)؛ وأسرة الصوليين كان لها دور بارز في العصر العبّاسي، لا يقل هذا الدور شُهرة عن دور أسرة البرامكة في العصر نفسه، وما اشتهرت به في السياسة والأدب.

كان مُسْعدة والد عمرو كاتبًا مشهورًا عمل لدى خالد بن عبد الله القسري(٢)، ثم لخالد بن برمك، وحظي بإعجاب الخليفة المنصور لبلاغته ونبوغه في فن الكتابة.

وقد عاش عمرو في رعاية أبيه فورث عنه العِلْم، وأتقن فنّ الكتابة والتحق بجعفر البرمكي في زمن الرشيد، ثم استخلصه الفضل بن سهل الوزير المبرّز في زمن الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ) لنفسه، حتى إذا قتل الفضل بن سهل في سنة (٢٠٢هـ) مضى عمرو فعاش في بغداد والتحق بالمأمون، الذي كان ذا بصيرةٍ بالعلماء، فوضعه تحت عينه وقرّبه(٣). وقد تولّى ديوان الرسائل وديوان الخاتم أو التوقيعات، وكذلك ديوان الأزِمَّة في عصر المأمون(٤).

ولَعَلَّ أفضل ما نذكره هنا في وصف بلاغته وإنشائه، ما قاله الوزير الفضل بن سهل عنه، بأنه " أبلغ النّاس، ومِنْ بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أنه يكتب مثله، فإذا رامه بعُد عنه"(٥) وقد توفي عمرو سنة (٢١٧هـ) وقيل سنة (٢١٥هـ)(٦).

وتجب الإشارة إلى أن عَمرًا كان قد حاز ثقافة واسعة، ليس في مجال اللغة فحسب، بل في السياسة والحكم، وليس بمستغرب وقد انحدر عن أسرة

عريقة ملكتْ جرجان، كما كان التحاقه بالخلافة في ظل سيطرة النفوذ الفارسي فرصة لاطلاعه على أساليب السياسة والحكم إلى جانب ثقافته وعلمه.

" **أفعالُ النّاس مرهونةٌ بعقولهم...**"

**توين فان دايك: الخطاب والسلطة، ص٤٥.**

**مهادٌ ثانٍ: الخطاب السياسي وإدارة الأزمة:**

بات من المقرر المعروف أنّ الممارسات التي تتبنّى تحليل الخطاب قد أحرزت تقدّمًا ملموسًا من خلال الشمولية التي تعالج بها النصوص، وأنّ الأمر في تحليل الخطاب لم يعُد – كما يقول فاركلوف (Fairclough) – يقتصر على التحليل اللساني للنصوص[٧] بعد أن صار البناء اللغوي مكوّنا أساسًا في بناء الممارسات الاجتماعية، وهو الأمر الذي ظهر مع الانطلاقة الأولى لمصطلح تحليل الخطاب على يد ز.هاريس (Z. Harris) حين خرج بالبحث اللساني من حدود الجملة إلى الخطاب[٨]؛ إذ لم تعد اللغة وحدها وتشكلاتها الداخلية قادرة على استنطاق كل ما يقوله النص، بل صار السياق الخارجي بمكوناته الثقافية والأيديولوجية والنفسية والاجتماعية له من الأثر ما لا يمكن إنكاره في تحليل لغة هذه النصوص، ولأمرٍ آخر شديد الأهميّة يكمن في أنه: "بالرغم من أن الخطاب يتوسَّل دائما اللغة في غاياته، فإنّ جوهره في حقيقة الأمر ليس لغويّا، إنّه هو مجموعة من النوايا والأفعال تتحقق بوساطة اللغة"[٩] إذن الخطاب لا يتشكل في بنائه الرئيس على اللغة وحدها، وإنما على أفعال وممارسات وثقافات خارجية، ولعله ليس بمستغرب –وَفق هذا– أن تكون منطلقات تحليل الخطاب على تعدد اتجاهاتها – سياقية، تُعنى بالممارسة الفعليّة للغة وتداخلها مع الأنساق المختلفة؛ ليذوب النص في بوتقة (الخطاب) بعد أنْ صار مشتملا على السياقات الزمانية والمكانية التي أنتجته، إلى جانب العلاقة بين المخاطِب والمخاطَبِ (المتكلم والمتلقي)، والمؤثرات الظاهرة والمستترة، والأنساق المتقاربة والمتنافرة، وتفكيك كل ذلك وتحليله إلى وحداتٍ تشف عن وظائف هذا الخطاب وآثاره وأيديولوجيته وتوجهاته.

وعلى صعيد الخطاب السياسي الذي نُعْنَى به في دراستنا نجد أن محور الخطاب السياسي هو السُّلطة، ومِنْ ثَمَّ فإنه يجدر بنا أن نبيّن علاقة الخطاب بالسلطة، وهي علاقة –كشأن علاقات السلطة جميعا– براجماتية نفعيّة، فمؤسسات السلطة مسؤولة عن إنتاج الخطاب الذي بدوره يعمل على مُساندتها، وتقويتها، لكنّ العكس نفسه قد يتحقق حين يُسهم الخطاب في تقويض السلطة وهَدْمِها، على النحو الذي بيّنه ميشال فوكو (Foucault) بقوله: "إنّ الخطاب ينقل السلطة وينتجها، ويقويها، ولكنه أيضًا يُلغمها، يفجّرها، يجعلها هزيلة، ويسمح بإلغائها"(١٠)، ولتفسير هذا التناقض الحاصل يمكننا الرجوع إلى ما قاله فوكو أيضا من أنّ: " السلطة قمعيّة، تتخلل كامل المجتمع، وهي معه في نفوذٍ متبادل "(١١) فكأنّ السُّلطة التي منحتها السلطة السياسية للخطاب مؤهلة في أي وقتٍ للانقلاب على مبادئ هذه السلطة السياسية؛ فبالرغم من أنها صَنيعتها لكنها تتحول بفعل القمع الممارس عليها إلى أداة مناهضة لها.

إذن، أُولى سمات الخطاب السياسي أنه خطاب يحوطه جوٌّ من التوتر، إلى جانب انعدام حياديته فهو دومًا لا يقول الصدق، وإنما تتعدد مقاصده؛ إذ " لا يقول السياسي بشكل عام كل الحقيقة، وإنما يختار منها ما يتفق مع أهدافه "(١٢) ولذلك يقع التناقض في الخطاب السياسي بكثرة؛ مما يكون مَدْعاةً لظهور أزمات مستمرة تقلق عمل السلطة السياسية؛ مما يجرنا للحديث عن التلاعب بوصفه أداة من أدوات الخطاب السياسي الفاعلة المستخدمة في مجابهة هذه الأزمات، وبذلك يُعدُّ التلاعب أحد أهم السمات التي يتصف بها الخطاب السياسي إلى جانب التناقض ومجافاة الحقيقة، وهذا الثالوث (التناقض، مجافاة الحقيقة، التلاعب) يُعَدّ متداخلا في الخطاب السياسي إلى الحد الذي لا يحتاج إلى احترافيّة أو تكلف، أو هو بتعبير فان دايك (Van Dijk): " يوظّف بطريقة انطباعية ... ضمن إطار التثليث الذي

يربط الخطاب والإدراك والمجتمع "[١٣] وسوف نتطرق إلى نوعٍ خاص من التلاعب في تحليلنا لرسالة عمرو بن مسعدة، يكون فيها استراتيجية مشروعة للإقناع.

وإذا كان مصطلح الأزمة Crisis قد نشأ في النطاق الطبي أول ما نشأ، فإن انتقاله إلى علم السياسة كان انتقالَ مُقيمٍ غير مرتحِل؛ نظرًا لخطورة المتغيرات التي تنشأ عن الأزمة السياسية، التي بدورها تطال نطاقات أخرى كثيرة خاضعة لهذه الأزمة السياسية بالأساس.

وتعرّف الأزمة بأنها: " خلل يؤثر تأثيرًا على النظام كلّه، كما أنه يُهدد الافتراضات الرئيسة التي يقوم عليها هذا النظام"[١٤] وإذَا كان هذا التعريف ينطبق على الأزمة في أي مجال من المجالات، فإنّ الأزمة السياسية – تحديدًا– يمكن تعريفها بأنها: " نقطة تحوّل في أوضاع غير مستقرة يمكن أن تقود إلى نتائج غير مرغوب فيها إذا كانت الأطراف المعنيّة غير مستعدة أو غير قادرة على احتوائها أو درء مخاطرها "[١٥]، ويتضح من التعريفين أنّ الأزمة من خصائصها أنها مفاجئة، مهدِّدة، تؤدي إلى خلل وقلق، منبِّهة، كما أنه يلفُّها عنصر السرعة والتحول.

وتنبغي الإشارة إلى أنَّ إدارةَ الأزمة Crisis Management عبارة عن: " العملية الإدارية المستمرة التي تهتم بالتنبؤ بالأزمات المحتملة عن طريق الاستشعار ورصد المتغيرات المولدة للأزمات"[١٦] وتحتاج إدارة الأزمة إلى تحمل كل فردٍ لمسؤولياته داخل المؤسسة أو السلطة، ووضع استراتيجيات واضحة ومحددة ومدروسة للخروج منها وحلِّها، وطرح بدائل للتعامل مع المفاجآت المحتملة التي قد تتطور عن الأزمة.

ورجوعا إلى سياق دراستنا فإنّ عمرو بن مسعدة حمل على عاتقه مسئولية إدارة أزمة تأخُّر رواتب الجند في خراسان، ومن الممكن أن نصنف

هذه الأزمة بأنها كانت وقتئذٍ كامنة، ووصفها بالكامنة- هنا- لا يقلل من خطورتها، وإنما يجعلها غير فاعلة إلا بمؤثِّر، إنْ تحقق لها انفجرت واستشرى خطرُها، وقد استدعتْ إرسالَ خطابٍ (رسالة) من ابن مسعدة إلى الخليفة المأمون في بغداد، محمّلا إياه مجموعة من الاستراتيجيات التي رجا من خلالها حلا لهذه الأزمة؛ خشية تطورها إلى كارثة في حال رفض المأمون صرف رواتب الجند، مما قد يترتب عليه عواقب وخيمة، من مثل الخروج على السلطة العباسية أو غيرها من التبعات المهدِّدة، وسوف يرصد البحث هذه الاستراتيجيات، مفككا مضمون الخطاب، وكاشفا عمّا يشتمل عليه من تمثُّلات.

## المطلب الأول: سياق الرسالة (سياق الحدث الخطابي):

في هذا المطلب نعرض لنصّ رسالة عمرو بن مسعدة ونوعه وتحديد الموضوع الرئيس له والموضوع الفرعي، والسياقات الحافّة بها، القَبْليّة والبعديّة، الظاهرة والمستترة، ثم نحدد الأطراف المتشاركة في الحدث السّياقي، والأيديولوجية التي يتحملها كل طرف من هذه الأطراف.

**أولًا: نصُّ الرسالة وسياقها:**

**(١) سياق قَبْلي:**

" قال أحمد بن يوسف: دخلتُ على المأمون، وفي يدِه كتابٌ، وهو يُعَاودُ قراءتَه مرة بعد مرة، ويُصَعّد فيه بصره ويصوّبه، فالتفت إليّ وقد لحظني في أثناء قراءته الكتاب، فقال: أراك مفكّرًا فيما تراه منّي! فقلت: نعم، وَقَى اللهُ أميرَ المؤمنين المخاوف! قال: لا مكروه إن شاء الله، ولكنّي قرأتُ كتابًا وجدتُه نظيرَ ما سمعتُ الرشيدَ يقوله عن البلاغة، فإني سمعتُه يقول: البلاغة التباعد من الإطالة، والتقرب من البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وما كنتُ أتوهّم أنَّ أحدًا يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو بن مسعدة إلينا .."(١٧).

" قال حمدون بن إسماعيل: دخلتُ على المأمون يومًا وهو في بعض صحون بساتينه يمشي حافيًا، وفي يده كتابٌ يُصَعّد بصرَه فيه ويصوّبه، فالتفت إليّ وقال: أحْسَبُكَ راعَك ما رأَيته! قلت: وأي شيء أروع لي من نظري إلى سيدي يمشي حافيا، ويقرأ كتابا قد شغله وأذهله، فقال لي: إني سمعتُ الرشيد يقول شيئا لم أتوهمْه ينسَبِك على حقيقته، وهو أنه قيل لبعض البلغاء: ما البلاغة ... وهذا كتاب عمرو بن مسعدة، قد أتى في حرفين بما كان يأتي به غيره في طومار، وَصَفَ حال الجند وطاعتهم ... "(١٨).

**(٢) نصُّ كتاب ابن مسعدة للمأمون:**

" **كِتابِي إلى أميرِ المؤمنِيْنَ، وَمَنْ قِبَلِي مِنْ قُوّادِه وسَائِرِ أجنادِه في الانقيادِ والطاعَةِ على أحْسَنِ مَا تكونُ عليْهِ طاعةُ جندٍ تأخَّرَتْ أرزاقُهم، وانقيادُ كُفَاةٍ تراخَتْ أعطياتُهم، واختلّتْ لذلكَ أحوالُهم، والتاثَتْ مَعَهُ أمُوْرُهُم**"(١٩).

**(٣) سياقٌ بَعْدِيّ:**

قال المأمون بعد أن قرأ كتاب عمرو بن مسعدة: " إنّ استحساني إيّاه بعثني على أنْ أمرتُ للجندِ قِبله بعطائهم لسبعةِ أشهر، وأَنَا على مُجَازاة الكاتبِ بما يستحقه مَنْ حَلَّ محَلَّه في صناعتِه "(٢٠).

ورُوي أنّ المأمون قال: " لله درُّ عمرو! ما أبلَغَهُ! ألا ترى إدماجَه المسألةَ في الإخبار، وإعفاءه السلطان من الإكثار "(٢١)، ويروى أنه أمر بأن يُعطى لعمرو أيضًا راتبه لثمانية أشهر جزاءً وفاقا لحسن عرضه للمسألة، ودقة تلطفه في إيرادها وتصويرها(٢٢).

**ثانيًا: السِّيَاق المُستتر(غير المباشر) للرسالة:**

يُبْدي لنا السّياقُ القَبْليّ والبَعْديّ لرسالة عمرو بن مسعدة أنه قد كتبها إلى الخليفة المأمون يستعطفه، كما يرى الجاحظ(٢٣)، كي يُجْريَ رواتب

الجند، التي كانت قد تأخّرت لأشهر، ولكنّ أيًّا من هذه السّياقات الظاهرة لم تُفصح لنا عَن المكان الذي أرسَلَ منه رسالته، وهو –بالطبع– ليس إلا خُراسان، و"مرو" عاصمتُها على وجه الدّقة؛ لأن عمرًا كان عامِلا للمأمون هنالك، وهو ما يُرجّحه الدكتور شوقي ضيف بقوله: " إن عمرو بن مسعدة إذا كان عمل في دواوين الفضل فلابد أن يكون عمل بها في مرو"(٢٤). ومِنْ هنا تبدأ أزْمة الخطاب (رسالة عمرو)؛ لأنّ الخليفة المأمون لبث في خراسان سبع سنين بعد مقتل أخيه الأمين؛ إذ آلت إليه الخلافة العامة سنة (١٩٨هـ)، وظل في خراسان حتى منتصف سنة (٢٠٤هـ)، ثم غادرها إلى بغداد بعد أنْ ظهرت الفتن، وبدا لأهل بغداد أنه يميل إلى الخُرسَانيين حتى صار آلة في أيديهم، وزاد الطين بِلّة ما كان من انحياز المأمون للعلويين، وخلعه شارة السواد شعار العباسيين، وارتدائه الشعار الأخضر شعار الشيعة العلويين(٢٥)، بالإضافة إلى اختياره "علىّ الرضا" وليًّا لعهد الخلافة العباسية في محاولةٍ منه للتوفيق بين البيت العلوي والبيت العبّاسيّ والقضاء على ثورات العلويين، لكنّ هذا الأمر أغضب العباسيين في بغداد؛ فشقوا عصا الطاعة، وخلعوا المأمون، وبايعوا إبراهيم بن المهدي خليفة عباسيًّا، ومن هنا قرر المأمون مغادرة خُراسان والتوجُّه إلى بغداد حتى استتب له الأمر من جديد؛ واستقرّت خلافته في بغداد حتى مات(٢٦).

ولا شك أن هذا السياق التاريخيّ المهم يضعنا أمام خطورة الحدث الذي من أجله كتب عمرو بن مَسْعَدة كتابه؛ لأنّ الخرسانيين بعد أن غادرهم المأمون إلى بغداد وجَدُوا عليه؛ لأنهم حُرِموا كثيرًا من خيره الذي أغدقه عليهم حينما كان بينهم، وقد حكى الطبري أنه حين مات الرشيد اعتلى المأمون المنبر في خُرَاسَانَ، فنعاه وأجرى على الجند فيها أعطياتٍ لاثني عشر شهرا(٢٧) ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن المأمون بعد أن آلت إليه الخلافةُ العامة قد

حطَّ عنهم ربع الخراج حتى سُرُّوا بذلك وقالوا: "ابن أختنا وابن عم نبينا صلى الله عليه وسلم"[٢٨] إذا جمعنا كل هذه السياقات والشواهد التاريخية بان لنا أنه بمغادرة المأمون لهم قد جفّ هذا الخير، وتأخّرت الرواتب، وأُهملوا إهمالًا يعرف المأمون أنهم مع هذا الإهمال لا تحمد عواقبهم، وقد كانت لهم سابقة حين تعاونوا مع طاهر بن الحسين الذي كان المأمون قد ولّاه خراسان فأحكم قبضته، وهمَّ بالخروج عليه والانفراد بخراسان، فمنَع الدعاءَ له على المنابر، غير أن المأمون دبّر له فوُجِدَ ميتا على فراشه[٢٩]، مما يُظهر خطورة الأمر؛ لكونه متعلقًا بالجيش (جُند خراسان)، الذي يُعَدُّ ممثلا للنفوذ الفارسي في مقابل النفوذ العربي في بغداد.

وفي السياق (الظاهر) الذي أوردناه للرسالة ما يعضد السياق المستتر(غير المباشر) ويرسم بوادر هذه الأزمة، والقلق الذي كان ينتابُ المأمون من وراء هذا الأمر، وقد بدا ذلك في ذهوله الشديد حين استقبل رسالة عمرو بن مسعدة، هذا الذهول ينبئنا عن كونه كان ينتظر رسالة عمرو على أحرّ من الجمر، فها هو يقرؤها حافي القدمين، ذاهلا في صحون بساتينه، يُعاود قراءتها مرة من بعد مرّة، يُصَعّد فيها بصره ويصوّبه...، فهذه الهيئة في استقبال كتاب عمرو تدل على تشوّف المأمون لمعرفة ما آل إليه الأمر في خراسان، وحينما وصله منها أنّ الأمور على ما يُرام لها، بدأ في الالتفات إلى بلاغة الرسالة ومَدْحِها.

ومن هنا – وَوَفق السياق الظاهر والمستتر– يُمكننا أن نُقرّر أنّ عمرو بن مَسْعدة إنما انتُدب إلى خُراسان ليكون متابِعًا للأحداث هناك، وليكونَ عينًا للمأمون يرصد له ما يحدث حول أزمة تأخّر رواتب الجند هذه؛ وبذلك يتجلّى كتاب عمرو بوصفه خطابًا يُدير من خلاله ابن مسعدة الأزمَة؛ ليصل بها إلى برّ الأَمَان، وأنّ الخطاب ليس مجرد استعطاف أو استشفاع، وإنما هو صياغة

محكمة في ظَرْف عصيب لكاتب يعرف مقدار مسؤولياته في إدارة هذه الأزمة، كتبه من خراسان إلى الخليفة في بغداد.

**ثالثًا: الأطراف المشاركة في الحدث الخطابي:**

ليس منتج الخطاب ومتلَقوه هما الطرفين الفاعلين، فقط، في إنتاج الخطاب، بل " كل مَنْ يمارس دورًا في عملية إنتاج الخطاب وإلقائه وتداوله والتأثر به "[٣٠]، وبالنسبة لرسالة عمرو بن مسعدة فإنّه يُعدُّ منتجَ الخطاب، والمأمون متلقيا خاصا نصّ على ذكره ابن مسعدة في الرسالة وهو ما يُعرف بـ (المتلقي النصي)، في حين يمكن عدُّ أحمد بن يوسف، وحمدون بن إسماعيل[٣١] من قبيل المتلقي العام؛ إذ لم يتوجه إليهم الخطابُ مباشرة، كما يعد (الجُند في خراسان) طرفا فاعلا ورئيسا في الخطاب.

وإذا كان "المأمون والجُند" طرفين متضادين، وعمرو بن مَسْعَدة هو الطرف المنوط به حلّ الأزمة الناشبة فيما بينهما، فإن هذه الأطراف الثلاثة جميعها تابعة للسلطة السياسية، وهو ما يزيد الأمر تعقيدًا بالنسبة للطرف المنشئ للخطاب (عمرو بن مسعدة)؛ إذ ليس من مَصْلحته انشطار الطرفين، وإنما اتحادهما، ولذلك كان دوُره محايدًا مُوفِّقًا بين الطرفين، أو مفاوضا عمل على حل النزاع فيما بين (الجند) الذي يمثل أحد أوجه السلطة، و( الخليفة) الذي يمثل السلطة المباشرة.

إنّ خروج الرسالة على هذا النحو المعجِب (المذهِل) مِنْ الإيجاز والإعجاز والبلاغة – تقف وراءه طبيعة العَلاقة فيما بين ابن مسعدة والخليفة المأمون من جهة، وبينه وبين جُند خراسان من جهةٍ أخرى، وهي علاقة جيدة مع الطرفين، فهو مقرب من المأمون وقد ذكرت المصادر أنه لم يكن كاتبًا عاديًا –كما تقدم– بل ذكر بعضها أنه كان وزيرًا للمأمون[٣٢]، أمَّا عن عَلاقته بُخراسَان والجند فيها فهي علاقة ممتدّة منذ أن اكتشفه جعفر بن برمك، ثم

اتصاله بالفضل بن سهل رجل المأمون الأول، الذي كان يقدم على تدبير شئون المأمون حين كان يحكم الولايات الشرقية مِنْ (مرو) الفارسية(٣٣)، مما أعطى ابن مسعدة – رغم أصوله التركية– قدرا كبيرا من التشبع بالحياة الفارسية وثقافتها، أضِف إلى ذلك كله ذكاءه وثقافته وحُسْن تصرُّفه في الأمور، حتى إن الشعراء كتبوا في هذه الصفة الأخيرة شعرًا يمتدحونه به، من مثل قول التيميّ:

**هو المرتجى لصروف الزمان ومعتصَم الراغبِ الراهب**

**نؤمله لجسام الأمور وندعوه للجَلَلِ الكارِبِ(٣٤)**

نخلص من هذا المطلب الذي حللنا فيه سياق الرسالة إلى أن الرسالة خطاب سياسيّ، أنشئ في ظرفٍ خاص، وهو ظرف سياسيّ –أيضًا– تمثل في تأخر رواتب الجند بخراسان، وقد أنشئ النص (الرسالة) بخراسان وأرسلت للمأمون ببغداد حيث مقرّ الخلافة العَبّاسية، ويُعَدّ المخاطِب (منتج الرسالة عمرو بن مسعدة) والمخاطَب (متلقيها / المأمون) إلى جانب الرواة (أحمد بن يوسف، وحمدون بن إسماعيل) وكذلك الجند في خراسان – أطراف فاعلة في الحَدثَ، وتُعَدُّ الرسالة تحقيقا لمصلحة أطرافها الفاعلة (عمرو بن مسعدة، المأمون، الجند) وقد جاءت صياغتها الدقيقة استجابة لهذه المصلحة، متجنّبةً أو بالفعل نجحت في تجنّب تطور الأزمة فيما بين الخلافة والجُند، ولَو قُدِّر لها أن تفشلَ في إقناع المأمون بصرف الرواتب؛ لأدى ذلك إلى صراعٍ فيما بين النفوذ الفارسي (جُند خراسان) والنفوذ العربي في بغداد، ولكان التاريخ منبئنا عن حوادث له جديدة في هذه الوقت من عمر الخلافة العباسية.

ويمكننا أخيرًا عرض شكل مختصر للأطراف المشاركة في الخطاب على النحو الآتي:

١- **منتج الرسالة:** عمرو بن مَسْعَدة.

٢- **المتلقي النصي:** الخليفة المأمون.

٣- **المتلقي العام** : الراويان اللذان رافقا المأمون (أحمد بن يوسف، حمدون بن إسماعيل).

## المطلب الثاني: استراتيجيات إدارة الأزمة في الرسالة

بان لنا من خلال المطلب الأول، الذي ناقشنا فيه السياقات الحافّة بالخطاب، أنَّ أزمَةً كانت كامِنة فيما بين المأمون وجنده في خراسان، وأنّ سبب هذه الأزمة يعود إلى تأخر رواتب الجند هنالك، مما استدعى أن يكتُبَ ابن مَسْعَدَة كتابه إلى المأمون، وهذا الكتاب (الخطاب) على وجازته قد اشتمل على مجموعةٍ من الاستراتيجيات التي يَعُدّها البحث سببًا في انفراج الأزمة والحيلولة دون تطورها إلى كارثة، وهذه الاستراتيجيات هي:

**أَوَّلا: استراتيجيّة إعادة بناء السِّياق Recontextualization:**

يقصد بإعادة بناء السياق: " عملية النقل أو التحويل التي يتم من خلالها استخراج جزء من نص أو خطاب أو من نوع معين من النصوص أو الخطابات في سياق ما، ثم إعادة صياغته في سياق آخر؛ ليصبح متوافقا مع استخدامه وبيئته."[٣٥] وإذا كان المفهوم من هذا التعريف أن جزءا من خطاب معين يؤخذ ويستخدم في سياق آخر، مما يستدعي رسم وظيفة جديدة له، مغايرة لوظيفته في السياق الأصلي، كأن يكون جوهريا في الخطاب الأصلي، ثم يعاد بناؤه ليكون ثانويا مثلا، فإنه بناء على هذا المفهوم يمكن أن نبني تصورا جديدا لمسألة إعادة بناء السياق، وَفقا لما نحن بصدده هنا من رسالة ابن مسعدة؛ إذ بناء على ما أمدَّنا به السياقُ التاريخي للحدث الخطابي الذي

عبّرت عنه الرسالة، الذي يُظهر جنودا تأخرت رواتبهم فاختلت أحوالهم لذلك، وقد يكون قد صدر منهم شغبٌ ما، مما يجعلنا أمام سياقين:

| (السياق الأصلي) | (السياق المُعَاد إنتاجه في الرسالة) |
|---|---|
| – ثورة جُنْدٍ تأخّرت رواتبهم، وما أحدثوه مِنْ شغبٍ وشكاية [٣٦]. | – انقياد الجُند وطاعتهم التامّة. |

فالإعادة التي قام بها ابن مسعدة ليست لجزء من الخطاب في سياق جديد، وإنما هي بناء سياق جديد للخطاب، وذلك حين نجح في إنتاج نصّ منفصل عن السّياق الواقعي الذي عاينه، بوصفه عاملا من عُمّال المأمون على خُراسان؛ إذ قدَّمَ الجُندَ في رسالته في صورة إيجابيّة فجعلهم في أحسن حالة من الانقياد والطاعة؛ على الرغم من أنّ السياق الأصلي يُحيل –منطقيا– إلى حالةٍ من التذمُّر والشغَب، وإنتاج الرسالة بعد إجراء هذا التعديل على السّياق حقق مأربَ ابن مسعدة منها، ولو كتبها مأخوذًا بالحدث الرئيس للسياق لخرجت بوجهٍ غير الوجه الذي انتهت إليه، ولتأسّسَتْ عاقِبةٌ غيرُ العاقبةِ التي آلت إليها الأحداث، ولَما أنجزت ما رسمه لها من أهداف .

إنَّ ابن مسعدة في إدارة رسالته ليس مُجرّد كاتبٍ يكتب ما يُملَى عليه، وإنما هو سياسيّ كُفء يوازن فيما بين الاستراتيجيات المتاحة؛ ليختار أنجحها لخطابه، كما يقول بول شيلتون (Paul Chilton): "والسياسي يجب أن يوازن فيما بين الاستراتيجيات السلبيّة والاستراتيجيات الإيجابيّة، وسيكون مِنَ الضروري أنْ يختار السياسيّ الاستراتيجية الإيجابية"[٣٧] وإذا كانت الروايات التي جاءت للرّسالة في المصادر لا تنبئنا عن قيام ابن مَسْعَدَة بتغيير جوهري[٣٨] في بنائها اللغوي؛ كي نثبت أنّ السِّياق الجديد أحدث تغييرًا بنائيًا في مضمون الرسالة – فإنّ إعادة بناء السياق هنا تحقق من خلال تجاهل

سياق (مُعَاين/ تذمر الجند) وإثبات آخر (وهميّ/ انقياد الجند) نجح من خلاله في حل أزمة الحدث، وإعطاء تمثيل إيجابي للجند عند المأمون.

**ثانيًا: استراتيجيات اللّغة:**

تعَدُّ اللغة عُدَّةَ الكاتب الرئيسة في إنجاز ما يهدف إلى تحقيقه، وفي لغة الخطاب السياسي يتطلب من منشئ الخطاب التدقيق في لغة خطابه؛ لأَنّ فشله في إدارتها ينتهي به إلى الإخلال بالأغراض التي يرتجى تحقيقها من خلاله، مما قد يترتب عليه أفعال كارثيّة، ومِن المقرر أن السياسيّ يتجنب الإطالة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، كي يكون بمنأى عن المزالق التي قد يجنح إليها في خطابه، كأن يعِد الجماهير التي تهتف باسمه بوعود لن يكون قادرا على استيفائها مستقبلا، أو العكس، كأن يُرهبهم بالوعيد نتيجة مقاطعتهم له أو ظهور ما من شأنه تعكير صفو الحدث الخطابي، ولذلك كله لا يعرف الخطاب السياسي الناجح الإطناب والتطويل.

وقد جاءت "رسالة" ابن مَسْعَدة مُعَدَّة بإتقانٍ بالغ، ومتضّمنة لعدة استراتيجيات حققت المقصد الذي أراده لها، من خلال عدة خصائص، أهمها:

**١) الإيجاز والمسكوت عنه في الخطاب:**

يُعَدَّ قِصَر الخطاب أَحَد السمات المهمة للخطابات السّياسية، وذلك نظرًا لحاجة السياسي للإيجاز دون غيره من الإطناب والتطويل، الذي قد يجرّ عليه مزالق يكون في غنى عنها.

وقد جاءت الرسالة مشتملةً على (٣٥) كلمة فقط، توزّعت فيما بين (١٨) اسمًا، و(١٢) حرفًا، و(٥) أفعالٍ، وجاء أسلوبُها جاريًا على أسلوب فنّ التوقيعات[٣٩] الشائع في نثر العصر العباسي، وقد كان ابن مسعدة من أبرز كُتّابه، وقد ظهرتْ هذه البراعة في (رسالته)، التي ترجم من خلالها قدرته على النفاذ إلى الغرض الرئيس مِن كتابه، دونما خوضٍ أو تفصيلٍ لما لا حاجة إليه، أو ذكر ما من شأنه أن يأتي بنتيجة عكسية، وقد امتدح المأمون الرسالة

من هذا الجانب بقوله الذي نقله عن الرشيد في وصف البلاغة بأنها: " التباعد من الإطالة، والتقرّب من البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى ".

ومع إيجاز الرسالة وإفصاحها عن الغرض المحدّد لها نجدُ ابن مَسْعَدة قد حَمّل الجُمَل القليلة فيها معاني مكتنزةً (مسكوتا عنها)؛ معوّلا على ذكاء المأمون في إدراكها، مِنْ ذلك حرصه على التأكيد على أنّه يكتب الرسالة وهو بينَ الجُند، من خلال استخدام الظّرف المقترن بياء المتكلم **(ومَنْ قِبلي)** أي: الموجودين معي، الملتفّين حَوْلي، وما في ذلك (الظرف) من معنى الشِكاية واندلاع أزمَة أخفى ابن مسعدة وصف تفاصيلها في الرسالة، حين أظهرَ فِعْل الطاعة والانقياد فقط، وترك للمأمون فهم هذا المسكوت عنه المقدّر، كما يمكننا أن نلمح أثر المسكوت عنه أيضا في قوله: **(ومَنْ قبلي مِنْ قوّاده وسائر أجناده)** فالجمع بين القواد وسائر الأجناد في الطاعة والانقياد، يُنْذِر بإمكانية اجتماعهم –أيضا– على شقّ عصا الطاعة، والخروج على المأمون إن لم يستجب لمطالبهم، وأنهم إذا كانوا على قلبِ رجلٍ واحدٍ في الطاعة، فبالإمكان أن يكونوا على قلب رجلٍ واحدٍ أيضا في الخروج والعِصْيان، وهو بلا شك مسكوت عنه مُعَادِل للمصرّح به، ولا يقل أهميَّة في تحقيق الغرض من الخطاب.

ومن الدلالات المكتنزة خلف هذا الإيجاز البلاغي في الرسالة – أيضًا–، قوله في وصف القوّاد والأجناد بأنهم: (كُفاةٍ) أي: أقوياء شجعان في مواقعهم، وفي هذه الصفة للجنود وقادتهم من دلالة على أنهم لا يُسْتغنى عنهم بغيرهم، والدلالة المسكوت عنها هنا هي تحذير للمأمون مِنْ أن يَهمّ بعزلهم أو معاقبتهم؛ مما يجرُّ عليه وعَلى الخلافة مِن الشرّ ما لا يُسَدُّ.

**(٢) الاختيارات الأُسْلُوبيَّة:**

تهيمن على الرسالة عدة خصائص أسلوبية تصبُّ في مصلحة تحقيق المقصدية التي تؤسس لها، من ذلك هيمنة (الأسماء) على الرسالة؛ إذ بلغ عددُها (١٨) اسمًا في مقابل (٥) أفعال؛ مما يعني أنّ المُرْسَلَة تبُثُّ حقائق ثابتة، وذلك لدلالة الأسماء على الثبات والاستقرار فيما تعلقت به من معان، وهي في الرسالة متآزرة لإثبات حقيقة الطاعة والانقياد.

وعلى الجانب الآخر جاءت الأفعال الخمسة الواردة في الرسالة موزّعة زمنيًّا بعناية: ففي قوله "على أحسن ما **تكون** عليه طاعةُ جند " [جاء فعل الكينونة مضارعا للدلالة على تجدد حالة الطاعة واستمرارها]، في حين جاءت (تأخّرتْ، تراختْ، اختلَّتْ، التاثتْ) ماضية للدلالة على انتهاء الحدث، وذلك لما تحمله من تمثيل سلبي، كما يُلاحظ أنّ اختياره للمصادر جاء خاليًا من الأوزان الدّالة على الحركة كما في (طاعة، انقياد)، ونجد المصدر (انقياد) مصدرًا مزيدًا للدلالة على الزيادة في معنى الخضوع والطاعة.

وتبدو فاعليَّةُ الاختيار الأسلوبي أيضًا على المستوى التركيبي في ورود (الفاعل) مجازيًا في الجمل: (تأخرت أرزاقُهم – تراخَتْ أعطياتُهم، واختلّت .. أحوالُهم، التاثت .. أمورُهم)؛ إذ الأصل أن (المأمون) وتأخيره الرواتبَ هو الفاعل الحقيقي[٤٠]؛ لكنّه حاد عن صياغة (أخرتَ أرزاقهم، تراخيتَ في أعطياتهم...) لما تحمله من سلبيَّة لمضمون الخطاب.

وقد أحسَنَ كذلك في استخدام المركب الإضافيّ كما في: (كتابي – قِبَلي) وهو ما يصنع للخطاب في الرسالة مصداقية، فابن مسعدة يريد أن يوصّل للمأمون أنه يُبَاشر هذه الأمور بنفسه، ويقوم بالدور المنوط به على أكمل وجه، فَلَمْ يترك الأخبار تُنقل إليه بالرواية والسماع، وإنما كان لها متابعًا، وهو ما دل عليه إضافة ضمير المتكلم للاسم والظرف.

ويظهر أثر الإضافة أيضا في: (قوّاده – أجناده) بإضافة ضمير "المأمون" إلى "القوّاد والأجناد"، وما في ذلك من أثر إظهار تبعيّتهم له، وامتثالهم لأمره.

وقد جاءت الجمل في الرسالة مُنْسَبِكَةً متماسكة بأدوات الربط (الضمير والواو) وخَلَتْ من الربط السياقي، مما يعني تريث ابن مسعدة في كتابتها، وانتفاء الارتجال والانفعال والسرعة في إنجازها(٤١).

والخاصّة الأسلوبّية المهمّة كذلك بناء الرسالة على الأسلوب الخبري، وهو ما تطلبه موضوع الرسالة الذي يحتاج إلى إثبات الشواهد والإقناع بها، كما خَلَتْ من التصوير والمجاز، مما يعني أنّ " الخطاب ليس إمتاعيًا يبغي اللذّة الإبداعيّة، بل خطاب مصنوع لأهداف سياسية، وجوهرها المصلحة والنفع "(٤٢) وهذا يُعيدُنا إلى ردة فعل المأمون حينما جاءته الرسالة فقرأها وطار ببلاغتها، بعد أن توجّهت إلى عقله لا إلى قلبه وعاطفته، فهي بلاغة مُطمْئِنة أزالَتْ هواجس المأمون حِيال أمرٍ أرّقه.

**ثالثًا: استراتيجية التلطيف والاستمالة Appeals:**

تدخل الرسالة كلها في دائرة التلطيف، وذلك نظرًا لكونها تمثيلًا لحدث تنازعٍ فيما بين طرفين (المأمون والجند)، مما يجعلها نوعًا من التفاوض الذي يستلزِمُ تقنياتٍ لا يستغني عنها خطاب سياسي، وهي تقنيات التلطيف، الذي يقود إلى استمالة المخاطَب وجرّه إلى تحقيق هدف الخطاب.

ولمّا كانت الرسالة كلها قد تجاهلَتْ أي إشارة مِنَ المُمْكِن أن يُفهمَ منها خروج الجند على المأمون، فهي بذلك تُسْقِط بالكُليّة أي تمثيل سلبيّ للجند، وتُثبِّتُ فعل الطاعةَ وتؤكده؛ لتكون تلطيفا واستمالة وتمثيلا إيجابيًّا لهم عند المأمون.

وقد تشكلت استراتيجية التلطيف الكُليّة هذه من مجموعةٍ من الآليات نعرضها على النحو الآتي:

**(١) التكرار:**

فعلى الرغم من أنّ الرسالة لا تتسع للتكرار غير أن ابن مسعدة حرص على تكرار الأفعال الدّالة على الطاعة؛ حيث تكررت (الطاعة) مرتين، وجاءت كلمة (الانقياد) –أيضا– مكررة مرتين، وذلك لأنّ مدار الأمر الذي سعى إلى تأكيده هو بقاء الجند على أفضل حال من الطاعة والانقياد؛ وذلك لعلمه بمدى تأثير ذلك في المأمون، بوصفه خليفةً يهمّه ما يهمّ كل قائد وسياسي ورئيس من ضمان طاعة مَنْ يحكمهم.

**(٢) التقريظ:**

وقد توجّه التقريظُ إلى المأمون من خلال مخاطبته بـ(أمير المؤمنين)، وفي رواية (العِقد الفريد) للرسالة، زيادة: (أيّده الله)[٤٣] ومن الواضح أنّ مخاطبته "بأمير المؤمنين" فيها إثبات للصيغة الرسمية التي يُخاطب بها المأمون، وهو ما يحتاجه خِطابٌ ينقِل أخبارًا عن حَدَث فيه خروج على مقتضيات هذه الإمارة، مما يجعل من إثباته إرساءً لمضمون بقاء الأمور تحت السيطرة، كما جاءتْ الجملة الدعائية (أيّدَه الله) لصنع تأثير في "المأمون"، ومجِيْئُها في أول الرسالة يُفيد إعطاء مؤشر (مبشّر) عمّا تحمله الرسالة مِن مضمون.

أمّا (القوّاد والجند) الذين يمثّلون الطرف الآخر، الذي تنقل الرسالة أخبارَه، فقد عبّرت عنهم بـ(كُفَاة) وهذا الوصف فيه تقريظ للقوّاد والجند، وقد وردَتْ في الرسالة بَعْدَ وصْفِهم بالطاعة والانقياد؛ مما قد يُفهم منه –عند المأمون– في حال عَزَمَ على منعهم رواتبَهم، أنهم مستسلمون لحال الانقياد دائما أبدًا؛ لذلك كان مجيء الوصف بـ(كفَاةٍ) بالإضافة إلى ما يحمله من تقريظ للجند، ففيه دلالة على أنّ في جُعْبَة هؤلاء الجند ما يقدمونه إذا بقي

الأمر على ما هو عليه من تأخُّر رواتبهم، غير أنّ هذه الدلالة الأخيرة جاءت مستترةً كيلا تتعارضَ مع الغرض الرئيس للرسالة؛ وبذلك يلاحظ أن الاستمالة جاءت موزعة فيما بين اتجاهين، الأول موجه للمأمون، والآخر موجه إلى "الجند"، وهذه الأخيرة (كفاة) استمالةٌ للجُند، الذين –حسب السياق المستتر أو المتخيّل– ينتظرون ما ستسفر عنه رسالة ابن مَسْعَدة؛ ليبتنوا على أساسه ردّة فعلهم، فكان ولابد أن يقدّم عنهم تمثيلا إيجابيًّا يُرضيهم ويُظهرهم في حالة من الطاعة والانقياد، وفي الوقت نفسه يبدي للمأمون ما يفهم عنه أن هؤلاء الجند كفاة، يكفون ثغور الخلافة العباسية في هذا الإقليم بشجاعة وقوة؛ ولولا هذه الكفاية لترتب على انعدامها ما لا يحمد عُقباه.

**(٣) إدماج المسألة في الإخبار(٤٤):**

وهو أسلوب في التلطيف راق المأمون فاستحسنه، حين قال:" ألا ترى إدماجه المسألة في الإخبار" وبلا شك أنّ تسجيل استحسان المأمون لهذا الأسلوب في التلطيف فيه دلالة على فاعليّة تأثره واستمالته، إذ لم يظهر طلب (صرف رواتب الجند) صراحة في رسالة ابن مسعدة، وإنما كان مُدمجًا في الخبر الذي ساقه فيها عن إثبات طاعتهم على أحسن ما تكون طاعة مَنْ تأخّرت أعطياتهم، فكان خروجه مِن الطلب إلى الإخبار عن طاعتهم إدماجا لطيفا تجنّب فيه إثارة المأمون ببث ما يزعجه مباشرة في الخطاب.

**رابعًا: استراتيجيات الإقناع:**

ينبغي أن نشير إلى أنّ " الفاعل السياسي على علم بضرورة الحذر من ثلاثة أشياء: انتقادات المعارضين، الآثار غير المنتظرة لكلامه، الحركات الاجتماعيّة التي ينبغي تحييدها بشكل مسبق"(٤٥) وقد أشرنا من قبل إلى أن نجاح خطاب ابن مسعدة في إنجاز أهدافه إنما يعود إلى أنّه كان سياسيّا في تصرفه مع الحدث، وليس مجرّد كاتب فقط، وَوفق ذلك سوف نعرض للطرق

التي نجح من خلالها في أن يسلك المأمون في طريق القبول والاستجابة والإقناع.

**١- استراتيجيّة الشرعية:**

ونقصد بها الوضعيّة التي احتلّها ابن مَسْعَدَة بوصفه منشئًا للخطاب، وقد سمحت له بأن يمارس هذا الدّور داخل الحدث الخطابيِّ، وسواء كان ابن مسعدة متفاوِضًا لصالح لجند، أو محققا لمصلحة نفعية لشخصه، أو ساعيا لكسب مكانة أكبر داخل مؤسسات الخلافة عند المأمون، فإن ما أهّله للقيام بهذه الأمور جميعا، إنما هي أدواره التي حدّدتها له السُّلطة السياسية بصفته عامِلا للمأمون على خراسان؛ لأنّ صدورَ الخطاب عن غير ذي صِفة يُسقِطه ويتخلف به عن أداء دوره، ومن هنا نلاحظ حرص ابن مَسْعَدة على تحديد هذه الوضعية حينما قال في أوّل رسالته: (كتابي) ناسبًا إياها إلى نفسه، ومحدّدًا بدقة –كذلك– إلى مَنْ يوجهها: (كتابي إلى أمير المؤمنين)، وبذلك يكون قد ضمِن لخطابه أن يكون في بؤرة العِناية والاهتمام، من خلال إشراكه المأمون في الخطاب، ولو أننا افترضنا أنه ليس مخولا بهذا الأمر، ومع ذلك تولَّى كِبَر المطالبة برواتب الجند، فلربما– ساعتها– عدَّه المأمون من المتآمرين مع الجند ضده، وناله ما كان مقدرا لينالهم، ولكنَّ شيئا من ذلك لم يحدث لتوافر استراتيجية الشرعية للخطاب.

**٢- استراتيجية التوازن(٤٦):**

الأصل أن يكون المحُاجِج متبنيًا لوجهة نظرٍ بعينها في خطابه، غير أنّ ابن مَسْعَدة نجح في أن يبني رسالته على استراتيجية التوازن، التي مكنته مِن ألَّا ينخرطَ صراحةً في تبنّي رأي الجند ورغبتهم في أن تُصرف لهم رواتبهم عاجلا، وذلك لأنّ انخراطه – وهو الرجل المحسوب على السلطة– في تبني هذا الأمر، ولمّا يُعرَف بعدُ قرار المأمون في ذلك، من الممكن أن يُحمّله تبعات خطيرة، تنتهي به وبخطابه إلى الفشل الذريع.

**(٣) استراتيجيّة الصّمت:**

وتعرّف في الخطاب السياسي بأنهّا: " استراتيجيّة تتوقع أنّ التصريح بما وقع فِعلا قد يثير ردود أفعال عنيفة مِنْ شأنها أن تمنع تحقيق ما يفترض أنه ضروري ويخدم مصلحة المجتمع "[٤٧] وتعد هذه الاستراتيجيّة أهم ما تحقق لرسالة ابن مسعدة، فإنه لم يأت على ذكر شيء من التفصيل حول ما أحدثه الجند أو ما سيُحدِثونه إذا استمرّ تأخير رواتبهم، ومِنْ مظاهر صمته أيضا أنّه سكت عن تحديد الطرف الآخر في الرسالة، واكتفى بوصف حالهم، ولو صرّح فقال مثلا: " كتابي إلى أمير المؤمنين حامِلٌ شكايةَ الجند" لكانت رسالته مصنّفة في غرض الشكاية، ولكان هو مصنفًا في صفِّ (الشاكِين / الجند) ولَفقد مُسَاندة السلطة له، كما كان ذلك إيذانا بفقده صفة (المُفَاوِض)، وبذلك كان صَمتُه نجاةً مِن فخّ التحديد والتصنيف المؤدي إلى نزع المصداقية عن الخطاب وصاحبه.

**(٤) استراتيجيّة القياس والبرهان:**

وهي استراتيجية تستمد فيها الحُجَّة قوتها الإقناعية من الطرائق الشكلية والمنطقيّة في البرهنة[٤٨]، وقد تحققت في الرسالة عملية برهانيّة عنَتْ بإقامة علاقة سببيّة بين قضيتين، وقد نجح ابن مسعدة في منح هذه العملية البرهانية تأكيدا من خلال الصياغة اللغوية، التي حرص من خلالها على ربط السبب بالنتيجة في وضوح، وذلك في قوله: (تأخّرت أرزاقهم، تراخَتْ أعطياتهم، اختلّت أحوالهم، التاثت معه أمورهم) فقد قابلَ تأخر الأرزاق وتراخي الأعطيات، باختلال الأحوال، والتياث الأمور، وهو ربط فيما بين السبب والنتيجة على نحوٍ مباشِر، لينشِئ من خلالهما علاقة حتميّة لا تقبل الإنكار لاستنادها إلى المنطق.

| (١) | | (٢) |
|---|---|---|
| – تأخّرت أرزاقهم.<br>– تراخَتْ أعطياتهم.<br>[السبب] | ←<br>← | اختلّت أحوالهم.<br>التاثت معه أمورهم.<br>[النتيجة] |

وهو بذلك يبني في ذهن المأمون نتيجة واضحة لما ستؤول إليه الأمور جراء تأخر رواتب الجند؛ إذ مِن المعروف أنّ الجند عِماد كل سلطة، وعليهم ترتكن الدولة، وباختلالهم تختل السلطة، وينهدم ركن عظيم من أركانها.

**(٥) استراتيجية التلاعب المشروع:**

الثابت أن الخطاب السياسي يحاول دومًا السيطرة على الآخرين من خلال نزع إرادتهم، مما يكون له آثار سلبيّة تقودهم إلى اعتناق ما يصب في مصلحة مَنْ يتلاعب بهم، وهذا النوع من التلاعب يعرّفه فان دايك بقوله: "هو الممارسة التواصليّة والتفاعلية التي تمكّن المتلاعِب من السيطرة على الآخرين"[٤٩] غير أنّ هناك نوعًا من التلاعب يُعَدّ مشروعًا في عملية الإقناع، وهو ذلك النوع الذي يكون للمتلقي حريّة قبول الطرح الذي يوجهه القائم بالإقناع أو رفضه[٥٠]. وقد تحقق هذا النوع الأخير في خطاب ابن مَسْعَدة، حين نجح في إدارة هذه الأزمة من خلال تلاعبٍ أنجزه في رسالته، أقنع من خلاله المأمون بصرف رواتب الجند المتأخرة لسبعة أشهر مستقبلا، وذلك دون إملاء أية شروط من شأنها أن تنزع حريّة المأمون في الاستجابة لمضمون الرسالة، وقد ساعده في ذلك ظروف الخطاب، وكونه موجها من الأدنى إلى الأعلى، إلى جانب ذكاء ابن مسعدة في جَعْل هذا التلاعب مستترًا غير قابل للاكتشاف، حين عبّر بالمواربة دون التصريح.

**خامِسًا: الاستراتيجية التداولية وتحويل الأقوال إلى أفعال:**

انطلاقًا من مبدأ أن كلّ خطاب إنما يحمل هدفًا يسعى إلى تحقيقه، فإن التداولية بوصفها: "دراسة استعمال اللغة"[٥١] تَتَتَبّع إنتاج الأقوال للأفعال، من خلال تركيزها على العلاقة فيما بين الأنشطة اللغوية ومستخدميها في سياقٍ بعينه.

وبذلك يُعَدُّ مَسْعى الخطاب السياسي والتداولية مُتحِدًا من هذه الجهة؛ لأن مجال اهتمامهما ليس الوصف، وإنما تغيير العالم من خلال التأثير والتوجيه، وسوف نحاول رصد معالم التغيير رصدًا تداوليًا في رسالة ابن مسعدة؛ مستعينين بالسياقات المختلفة التي أوردناها في التمهيد لهذا البحث، وذلك في النقاط الآتية:

**١ – الفعل الإنجازي:**

ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال، وذلك على حد تعبير "أوستن" كيف ننجز الأشياء بالكلام[٥٢]، وقد تحقق في الرسالة أنْ حمّل ابن مسعدة كلامه فيها فعلا إنجازيا تمثّل في سؤالِه المأمونَ أن يجري على الجند رواتبهم التي قد تأخّرت، وقد جاء بناؤه لهذا الفعل الإنجازي موفّقا؛ وذلك قياسًا بما أمدّنا به السياق من أنّ المأمون نجح في تلقي الرسالة وما تضمنته من فعل إنجازي، وقد ظهر ذلك في الإشارة التي سجّلها حين فرغ من قراءة الرسالة، وتوجّه إلى "أحمد بن يوسف" مخاطبا إيّاه: " ألا ترى إدماجَه المسألة في الإخبار" فالرسالة ليست خبرًا محضا، وإنما تضمنت فعِلًا إنجازيًا واضحًا، وهو طلب دفع رواتب الجند.

ومِن الأفعال الإنجازية في الرسالة أيضا فِعْل (الوَعِيْد) وهذا الفعل جاء مضمّنًا في وصف الجند بـ(كُفاة) وما في هذا الوصف من معاني القوة والشجاعة والكفاية التي عليها جند خراسان؛ وهو ما ينتج فعل (الوعيد) عند المأمون، وذلك إذا ظلَّ حالهم على ما هم عليه، والجدير ذكره هنا أنّ هذا

الفعل له دوره الذي أسهم في استجابة المأمون للرسالة؛ وكأنها بذلك ترددت فيما بين الترغيب (الطاعة) والترهيب (العصيان).

**(٢) الفعل التأثيري:**

وهو الفعل الناتج عن القول ويعرّف بأنه الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب(٥٣) وقد تحقق فِعلٌ تأثيريّ في رسالة ابن مسعدة تمثل في اقتناع المأمون وتعديل سلوكه تجاه قضيّة رواتب الجند، وشعوره بالعاطفة تجاه ذلك، وهو ما سجّله المأمون نفسه بقوله:" فلم أتوهّم أن هذا الكلام يستتب على هذه الصّفة حتى قرأت هذا الكلام، فكان استعطافًا على الجند"(٥٤)، وقد نجح ابن مسعدة في إثارة هذه العاطفة من خلال ما عرضه في رسالته من تأخر الأرزاق والأعطيات، وما ترتب على ذلك من اضطراب وخلل في الأحوال والأمور، وهو ما اصطنع في قلب المأمون تأثيرًا، وكان لاختيار ابن مسعدة الجزء الأخير من الرسالة ليعرض فيه هذه الأمور دور في هذا الإقناع والتأثير؛ إذ إنَّ ما يُقال في النهايات يكون آخر ما يعلُق بالنّفْس.

**(٣) استجابات المأمون:**

تقع استجابات المأمون لرسالة ابن مسعدة ضمن الأثر المباشر الذي أحدثته الأفعال الإنجازيّة، ويأتي على رأس هذه الاستجابات ما وعد به المأمون الجند بأنْ أمرَ لهم بعطاء سبعة أشهر، ومجازاة ابن مسعدة بما يستحقه.

ويلاحظ على هذه الاستجابة أنها مباشرة قصيرة الأمد، فهو أمر واجب النفاذ على الفور، وليس فيه تسويف، مما يعكس الأثر البالغ للرسالة على المتلقي / المأمون، وقد نجح ابن مسعدة أيّما نجاح في صناعة هذه الاستجابة، وذلك من خلال مجموعة من المبادئ التداولية(٥٥) التي انعكست

على الحدث الخطابي، ومنها: مبدأ القيمة وهو المبدأ المنوط به تقديم المرسِل القدر الضروري من المعلومات فقط، ومبدأ النوعيّة، وفيه يمتنع المرسِل عن قول ما يعتقده خطأ، وكذلك عن قول ما لا تجتمع له أسباب قويّة ليكون صحيحا، ومن المبادئ أيضًا مبدأ العلاقة ويشمل الصّلة القوية القائمة فيما بين المرسِل والمتلقي، وأخيرا مبدأ الأسلوب المتعلق بالجهة التنظيمية للرسالة، وضوحًا واختصارًا.

وتُعرف استجابات المأمون هذه بالأفعال المادية للّغة السياسية، وهي استجابات سجَّلت انفراجة للأزمة، كما عكسَتْ إلى أي مدى تجنح لغة الخطاب السياسيّ إلى الأغراض النفعيّة، وهي الأغراض التي تحققّت للأطراف الرئيسة المشارِكة في الحدث الخطابيّ، فقد استتب للمأمون الأمر في هذا الإقليم المهم من زوايا خِلافته المتسعة، ودان له ركن مهم من أركان دولته، وهم الجند في خراسان، أمّا ابن مَسْعَدة فنالَتْه مكافأة الخليفة(٥٦)، كما نال ثقة الجند والقادة في خراسان، وازداد من الطرفين قربًا على قُرب، وبالنظر إلى الطرف الثالث (الجند) فقد أجريت عليهم أعطياتهم، وصار لهم رصيد من الطاعة عند الخليفة.

## الخاتمة

آثرَ هذا البحثُ أن يكونَ (نوستالجيا) حين هَمَّ بالرجوع إلى مدوّنة التاريخ العباسي الحافل بكل مثير؛ ليختارَ منها رسالةً من سطرين اثنين، كتبها عمرو بن مسعدة، عامل المأمون على خراسان، في تأخر رواتب الجند، وبعث بها إليه في بغداد؛ مما عددناه خطابا سياسيا له علائق متشابكة بالواقع القائم آنئذ، بدتْ فيما جمّعناه من سياقات تاريخية مهمة، دفعتْنا إلى أن نصنّف هذا الخطاب فنجعله خطاب أزمة، هذه الأزمة وإن كانت كامنة فإنها لم تخلُ من مظاهر الاضطراب السياسي، ولولا اجتهاد ابن مسعدة في فض التنازع، وإقناع المأمون بصرف هذه الرواتب المتأخرة، لتطورت أحداثُها، ولتشابكت وقائعُها.

ولقد كان طريقُه في حلِّ هذه الأزمة مشتملا على مجموعةٍ من الاستراتيجيات، التي تنوَّعت فيما بين اختراع سياق بديل لخطابه، واستثمار لإمكانات اللغة ومستوياتها، واستراتيجيات أخرى حجاجية إقناعية، وتداولية إنجازية، وإجراءات تخللت هذه الاستراتيجيات وارتبطت معها بسبب، على نحو ما ظهر في تناولنا للمسكوت عنه، والتلاعب، والتلطيفات والاستمالات.

**وَوفق ما أنجزه البحث من تحليل، فقد ظهرت مجموعة من النتائج التي نوجزها في الآتي:**

– خصوصيةُ تحليل الخطاب السياسي تجعل من الأفضل أن يُولي الباحثون الخطاب السياسي المعاصر عنايتَهم، لكنّ هذا الأمر في الوقتِ نفسِه ينبغي ألا يصرفَهم بالكليَّة عن الخطاب السياسي التراثي؛ رفعا لشعار (ما فات مات)؛ لأنّ السياسة– على الأقل في أوطاننا العربية– إنما هي رِداء طويل متماسك، ممتد طرفه في ماضٍ سحيقٍ، وفي الوقت نفسه نجد طرفه الآخر حاضرا الآن في صورته نفسها لم تتغير، اللهم إلا في بعض المظاهر الشاخصة في التطور الحضاري الحتمي، لكنّ جوهرَه باقٍ كما هو، مما يجعلُ دراسةَ الخطابات السياسية التراثية واستصفاء تجاربها محاولة حقيقية لإحداث

تطور في الفعلِ السِّياسِي المُمَارَس، شريطة أن يُصغي السياسيون المعاصرون إليها؛

– كل المؤسسات التي تُحسِنُ السلطةُ السياسيةُ رعايتَها، يكون أول مردود لهذا الإحسان راجعا إليها بالنفع، وقد ظهر ذلك في عناية الدولة العباسية بديوان الكِتابة، واستقطاب الكُتَّاب المهرة إليه، وقد تابعنا من خلال سياق رسالة ابن مسعدة كيف استطاع حل أزمة الجند قبل تفاقمها؛ نظرا لمواهبه المتعددة التي مكنته من معالجتها بحكمة وبلاغةٍ فارهةِ المعنى، موجزة العبارة؛

– من النتائج التي تتعلق بتحليل الرسالة– أيضا– أن ابن مسعدة حقق هدفه دون أن يصرح به، وجر نفعا دون أن يطلبه صراحة، وتلك غاية كلِّ خطاب، فَعَلى كل خطيب أو كاتب أن يحسن تحقيق الأفعال بالأقوال المناسبة للغرض؛

– ومنها أيضا الأهمية التي يؤديها السياق بأنواعه في تحليل الخطاب، والوقوف على دقائقه، ولعل الشمولية التي تميز بها منهجُ تحليل الخطاب عن غيره إنما ترجع إلى استثماره لكل هذه السياقات، وإعادة تفكيك الخطاب في ضوئها للكشف عن وظائف الخطاب واستراتيجياته.

وأخيرا، يوصي البحث بصلاحية المكاتبات التي دارت في دائرة الخلافة العباسية، للدراسة وَفق منهج تحليل الخطاب، وبخاصة الخطابات التي دارت في أحداث الفتن الكثيرة التي عصَفَتْ بالسياسة في هذا العصر، كالفتنة فيما بين الأمين والمأمون وغيرها.

## الهوامش

(١) ينظر: ابن خلكان (أبو العباس أحمد ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ٤٥/١، ٤٦.

(٢) ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، ط٣، د.ت، ١٢٧/١٦.

(٣) راجع: د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٦٦، ص ٥٥٣.

(٤) ينظر: عمر فروخ: الأدب العربي، الأعصر العباسية، دار العلم للملايين بيروت، ط٤، ١٩٨١، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٥) ينظر: معجم الأدباء، ١٢٩/١٦.

(٦) الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بمصر، د.ط، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١، ١٠/١٨٢.

(٧) ينظر: نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب، ترجمة طلال وَهْبة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣١.

(٨) حول ريادة ز.هاريس (Z. Harris) لاتجاه تحليل الخطاب يُنظر: محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص ٣٨ المجلد الأول.

(٩) د. نعمان عبد الحميد بوقرة: الخطاب والنظريّة والإجراء، دار جامعة الملك سعود للنشر – السعودية، ٢٠١٥، ص ٢٣.

(10) Foucault, M. (1976). *La volonté de savoir*. Paris: Gallimard, p. 133.

نقلا عن: د. سامي كليب: البراغماتية (القولفعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي؛ خطابا ترامب والملك سلمان نموذجًا، دار الفارابي – بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص ٣٨. **وأشير إلى أن (القولفعلية) الواردة في عنوان الكتاب وردتْ هكذا بالرسم المُثبت لها، وليس هناك خطأ كِتابيّ في كتابتها، ولعل المؤلف يقصد من هذا المزج– الغريب– دلالة إنتاج الأقوال للأفعال، ولقد كانت عنده مصطلحات أخرى بديلة يعبر بها عما أراد من دلالة، لكنّ نزعة التفرد أحيانا تقود صاحبها إلى كل غريب !**

(11) Karlberg, M. (2005). The Power of Discourse and the Discourse

of Power: Pursuing Peace Through Discourse Intervention. *International Journal of Peace Studies, 10*(1), p. 5.

(١٢) د. سامي كليب: البراغماتية (القولفعلية) في تحليل الخطاب السياسي، ص ١٠٢.

(١٣) توين فان دايك: الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة – القاهرة، العدد ٢٤١٩، ط١، ٢٠١٤، ص ٤٢٩، وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم السلطة، عند فان ديك في هذا الكتاب لا يتوجّه إلى السلطة السياسية تحديدًا، وإنما تتنوع عنده في إطار القوى الاجتماعية ومفهوم السيطرة، راجع ص٤٤.

(١٤) فادي حسن عقيلان: إدارة الأزمة والكوارث الطبيعية، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٥، ص١٣.

(١٥) السابق: ص١٢.

(١٦) د. فاروق السيد عثمان: التفاوض وإدارة الأزمات، طيبة للنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص١٢٨.

(١٧) الحصري القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٥٣هـ): زَهرُ الآداب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط ٤، د.ت، ص٨٩٣، ٨٩٤.

(١٨) ابن حمدون (محمد الحسن بن محمد بن علي ت ٥٦٢هـ) التذكرة، الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٦، ٣٢١/٦. والطومار: المقدار الكامل من مقاييس الورق، وهو ما يُعبّر عنه بـ(الفَرْخ).

(١٩) وفيات الأعيان: ٤٧٨/٣. وينظر: التذكرة الحمدونية، ٣٢١/٦، زهر الآداب: ص٨٩٤، باختلاف طفيف.

ومعنى: كُفاة: أقوياء، والتاثتْ: اضطربتْ.

(٢٠) وفيات الأعيان: ٤٧٨/٣.

(٢١) زهر الآداب، ص ٨٩٤.

(٢٢) ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٥٥٦.

(٢٣) ينظر: الجاحظ، المحاسن والأضداد، تحقيق الشيخ محمد سويد، دار إحياء العلوم بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص ١٢.

(٢٤) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٥٥٣.

(٢٥) ينظر: الطبري (الإمام أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، راجعه وصححه نخبة من العلماء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت، ١٣٩/٧.

(٢٦) يراجع ذلك في كتاب الدكتور أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٢٧م، المجلد الأول، ص ٢٥٧، وينظر كذلك: ص ٢٥٩ – ٢٦٨. ومن الممكن متابعة العديد من الثورات والشغب ضد المأمون وخلافته في كتب التاريخ، فمنها: حركة أبي السرايا، وابن طباطبا العلوي، وثورة الزط؛ وثورة نصر بن شبث في الرقة، وبابك الخُرَّميَ شمال فارس، وغيرها، يراجع: تاريخ الطبري، ١١٩/٧، ويراجع عصر المأمون، ٢٧٠/١.

(٢٧) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، ٣٧٠/٨.

(٢٨) عصر المأمون : ص٢٢٥.

(٢٩) يراجع : السابق: ص٢٧١.

(٣٠) د. عماد عبد اللطيف: إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي: تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر، ع١٤، مارس ٢٠١٣، الصفحات ص ص ١٨٧ – ٢٠١٦، ص ١٩٨.

(٣١) فكما تقدّم في السياق القَبْليّ أنّ الرسالة رواها أحمد بن يوسف، وحمدون بن إسماعيل.

(٣٢) ينظر: وفيات الأعيان، ٤٧٥/٣.

(٣٣) ينظر: شوقي ضيف: العصر العباسي الأول: ص ٥٥٣.

(٣٤) زهر الآداب: ص ٨٩٤،٨٩٥.

(35)Linell, P. (1998). Discourse across boundaries: On recontextualizations and the blending of voices in professional discourse. *Text: An Interdisciplinary Journal for the Study of Discourse, 18*(2), p. 144-145.

(٣٦) لم تسعفني المصادر التاريخية –على حدّ جهد البحث– في الوصول إلى أفعال شغب بعينها مارسها جند خراسان، ولا إلى نوعية تذمرهم من تأخر رواتبهم، لكن السياق التاريخي العام مستقر على أنّ مغادرة المأمون إلى بغداد أحدثتْ حَنقا عند الخرسانيين عامة؛ نظرًا لما كان يغدقه عليهم من أموال وهو بينهم، وقد زاد هذا الحنق حينما تأخّرت رواتبهم، مما

يُبْدي لنا بوادر أزمةٍ كامنة احتوَتْها رسالة عمرو، ومنعَتْها التحوُّلَ إلى كارثة.

(37) Chilton, P. (2004). *Analysing Political Discourse: Theory and Practice*. London and New York: Routledge, p. 40.

(٣٨) فالرواية التي اعتمدناها وردت في "وفيات الأعيان"، في حين جاءت رواية "زَهْرُ الآداب" مشتملةً على تبديل لفظة مثل (تأخرت أعطياتهم) بدلا من: (تأخرت أرزاقهم) في "وفيات الأعيان"، مما يعني أنه يجري في السياق نفسه في دور الرسالة في انفراج الأزمة من خلال تجاهل السياق الواقعي، وبناء سياق (الانقياد)، ولا يقلل هذا من أن تبديل مفردة وإيثارها دون أخرى له دور كبير في الدلالة سنشير إليه في موضعه حين ندرس استراتيجيات اللغة.

(٣٩) من الفنون التي حاكاها خلفاء بني العباس ونقلوها عن ملوك الفرس "فن التوقيعات" ويعرّف بأنه: عبارة موجزة بليغة تتخذ توقيعا على التظلمات التي ترِد من أفراد الرعية للخلفاء. ينظر: د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص ٤٨٩.

(٤٠) ويسمى إسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي بالمجاز العقلي، يراجع : المبرد (أبي العباس بن يزيد ت٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٩م، ٥٩٨/٢.

(٤١) يراجع د. محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي، دارسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال، دار النشر للجامعات، مصر، ط ١، ٢٠٠٥م، ص٧٨.

(٤٢) السابق: ص ٦٢.

(٤٣) يراجع: ابن عبد ربه (أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ) العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ، ١٣١/٢.

(٤٤) والإدماج أحد فروع فن الاستطراد في البلاغة العربية، ويَعَرّف بأنه خروج من السياق الرئيس إلى موضوع آخر ثم يعود إلى ما كان عليه. يراجع ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل – بيروت، ط ٥، ١٩٨١م، ٣٩/٢، ٤١.

(٤٥) عثمان خياطي: الخطاب السياسي: إستراتيجيات الإقناع، مختبر اللغة والمجتمع والخطاب – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر بأكادير المغرب، ٢٠١٦م، الصفحات (١١١ – ١٢٦)، ص ١٢٣.

(٤٦) الاتجاه إلى التوسُّط في الموقف من القضية التي يطرحها الخطاب السياسي، ينظر:

السابق، ص ١١٥.

(٤٧) عثمان خياطي: الخطاب السياسي، ص ١٢٥.

(٤٨) يراجع: عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، بحث منشور ضمن كتاب فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمودي، جامعة الآداب والفنون الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت، ص ٣٢٥.

(٤٩) توين فان دايك: الخطاب والسلطة، مرجع سابق، ص ٤٣٠.

(٥٠) يراجع: السابق: ص ٤٣٢.

(٥١) جاك موشلر، وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عدد من الأساتذة بإشراف د. عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة – تونس، ٢٠١٠م، ص ٢١.

(٥٢) أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، المقدمة ص ٧.

(٥٣) ينظر: د. محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص ٩٦ – ٩٩.

(٥٤) العقد الفريد، مرجع سابق، ١٣١/٢.

(٥٥) تعرف هذه المبادئ بالتعاون التحاوري، وقد وضعها بول جرايس (Paul Grice)؛ لمراجعة هذه المبادئ بتوسّع ينظر: العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف – الجزائر، ط١، ٢٠١١، ص ١٠٤، كما ينظر: د. سامي كليب: البراغماتية، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٥٦) يُروى أنه لمّا مات عمرو بن مسعدة أحصوا من أمواله التي تركها ثمانين ألف ألف درهم( ثمانين مليون) فرُفع بها إلى الخليفة المأمون كتاب ليقضي فيها، فلما وصله قال: " هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيه. " يراجع : معجم الأدباء، ٢٩/١٧.

## ثَبَت المصادر والمراجع

**أولا: العربية.**


١. أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف – الجزائر، ط١، ٢٠١١.

٢. بوقرة، نعمان عبد الحميد، الخطاب والنظريّة والإجراء، دار جامعة الملك سعود للنشر – السعودية، ٢٠١٥.

٣. الجاحظ( أبو عمرو عثمان بن بحر ت٢٥٥هـ)، المحاسن والأضداد، تحقيق الشيخ محمد سويد، دار إحياء العلوم بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٤. ابن حمدون (محمد الحسن بن محمد بن علي ت ٥٦٢هـ) التذكرة، الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٦.

٥. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، ط٣، د.ت.

٦. ابن خلكان (أبو العباس أحمد ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

٧. خياطي، عثمان، الخطاب السياسي: استراتيجيات الإقناع، مختبر اللغة والمجتمع والخطاب – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر بأكادير المغرب، ٢٠١٦م، ص ص (١١١ – ١٢٦).

٨. الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بمصر، د.ط، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١.

٩. رفاعي، أحمد فريد، عصر المأمون، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٢٧م.

١٠. الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية

"تأسيس نحو النص"، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

١١. صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، بحث منشور ضمن كتاب فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمودي، جامعة الآداب والفنون الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

١٢. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٦٦.

١٣. الطبري (الإمام أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، راجعه وصححه نخبة من العلماء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.

١٤. ابن عبد ربه(أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

١٥. عبد اللطيف، عماد، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي: تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر، ع١٤، مارس ٢٠١٣، الصفحات ص ص ١٨٧ – ٢٠١٦.

١٦. عثمان، فاروق السيد: التفاوض وإدارة الأزمات، طيبة للنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١٧. عقيلان، فادي حسن، إدارة الأزمة والكوارث الطبيعية، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٥.

١٨. عكاشة، محمود، لغة الخطاب السياسي، دارسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال، دار النشر للجامعات، مصر، ط ١، ٢٠٠٥م.

١٩. عكاشة، محمود، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم

والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ٢٠١٣.
٢٠. فروخ، عمر، الأدب العربي، الأعصر العباسية، دار العلم للملايين بيروت، ط٤، ١٩٨١.
٢١. القيرواني، الحصري(أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٥٣هـ)، زَهرُ الآداب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط ٤، د.ت.
٢٢. القيرواني، ابن رشيق( أبو علي الحسن ت ٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل – بيروت، ط ٥، ١٩٨١م.
٢٣. كليب، سامي، البراغماتية (القولفعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي؛ خطابا ترامب والملك سلمان نموذجًا، دار الفارابي – بيروت، ط١، ٢٠١٧.
٢٤. المبرد (أبي العباس بن يزيد ت٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٩م.

**ثانيا: المترجمة.**

١. أوستن، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.
٢. فاركلوف، نورمان، تحليل الخطاب، ترجمة طلال وَهْبة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٩.
٣. فان دايك، توين، الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة – القاهرة، العدد ٢٤١٩، ط١، ٢٠١٤.

٤. موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة، عدد من الأساتذة بإشراف د. عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة – تونس، ٢٠١٠م.

**ثالثا: الأجنبية.**

1. Chilton, P. (2004). *Analysing Political Discourse: Theory and Practice*. London and New York: Routledge.

2. Foucault, M. (1976). *La volonté de savoir*. Paris: Gallimard.

2. Karlberg, M. (2005). The Power of Discourse and the Discourse of Power: Pursuing Peace Through Discourse Intervention. *International Journal of Peace Studies*, *10*(1), 1-25.

3. Linell, P. (1998). Discourse across boundaries: On recontextualizations and the blending of voices in professional discourse. *Text: An Interdisciplinary Journal for the Study of Discourse*, *18*(2), 143-157.